الصدمة الجماعية لـ (الخوف من فقدان الوطن والتهجير) في أعمال غسان كنفاني

طالب الدكتوراه محمد حسين كارگر
قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة ياسوج، إيران
nejadande@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور مجيد بهره ور
قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة ياسوج، إيران
bahrevar.majid@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور محمود حيدري
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ياسوج، إيران
mahmoodhaidari@yahoo.com

The collective trauma of “fear of losing the homeland and displacement” in the works of Ghassan Kanafani

Muhammad Hussain Kargar
PhD student; Department of Persian Language and Literature at Yasouj University
Dr. Majid Bahrevar
Associate Professor ; Department of Persian Language and Literature at Yasouj University
Dr. Mahmoud Haidari
Associate professor; Department of Arabic Language and correspond author Literature at Yasouj University,

الملخص:-

الصدمة Trauma بمعناها الواسع هي تأثير الأحداث الصادمة التي تؤثر بعمق على حياة الضحية وتترك مثل هذه المآسي، المخاوفَ والجروح الذهنية التي لن تمح بسهولة وتؤثر على سلوك الفرد بطرق غير متوقعة. عندما يعاني مجتمع ما من صدمة جماعية، فإن آثارها ونتائجها تظهر نفسها بشكل مستمر وتدريجي على جميع القضايا الفردية والاجتماعية في ذلك المجتمع. لا يزال الشعب الفلسطيني، بعد معاناته من الفظاظة العالمية والاحتلال التدريجي لأرضه إثرَ وعد بلفور، يشعر بالخوف من التشرد والتهجير. فأعراض هذه الصدمة الجماعية لم تظهر فجأة في حياتهم، بل ظهرت بشكل تدريجي منذ بداية صراعاتهم مع بريطانيا والصهاينة، ثم برزت الصدمة الجماعية لـ "الخوف من فقدان الوطن والتهجير" في حياة الفلسطينيين بعلامات مثل: "الخوف من الجوع والثأر والكراهية والخوف من المساومة مع العدو، وأخيراً العناق الدائم لحلم الموت والمواجهة اليومية بموت الأحبّاء". في هذا البحث، يتم فحص هذه الصدمة الجماعية وأعراضها في الأدب الروائي الفلسطيني بناءً على أعمال غسان كنفاني الكاتب الفلسطيني الشهير. تحكي نتائج هذه الدراسة أن آثار الصدمة هذه، قد ظهرت تدريجياً في أعمال غسان، والكاتب قد عاش هذه المخاوف المتأصلة من الخوف من الجوع إلى الخوف والمواجهة اليومية للموت وأصبح ضحية لإحداها. الصدمة الثقافية والخوف من فقدان الهوية الوطنية هي نتيجة الصدمة الجماعية فلهذا فإن التركيز على الهوية الفلسطينية هو موضوع يركز عليه أدب المقاومة الفلسطينية، وخاصة أدبها الروائي.

الكلمات المفتاحية: الأدب الروائي الفلسطيني، غسان كنفاني، الصدمة الجماعية، الخوف من التشرد وفقدان الوطن.

Abstract:-

Trauma in its broadest sense is the effect of traumatic events that deeply affect the life of the victim and leave such tragedies, fears and mental wounds that will not be easily erased and affect the individual's behavior in unexpected ways. When a society suffers from collective trauma, its effects and consequences manifest themselves continuously and gradually on all individual and social issues in that society. The Palestinian people, after suffering from global brutality and the gradual occupation of their land following the Balfour Declaration, still feel the fear of displacement. The symptoms of this collective trauma did not appear suddenly in their lives, but rather appeared gradually since the beginning of their conflicts with Britain and the Zionists. Then the collective trauma of "fear of losing the homeland and displacement" emerged in the lives of the Palestinians with signs such as: "Fear of hunger, revenge, hatred and fear of compromising with the enemy." Finally, the permanent embrace of the dream of death and the daily confrontation with the death of loved ones. In this paper, this collective trauma and its symptoms are examined in Palestinian fiction literature based on the works of Ghassan Kanafani, the famous Palestinian writer. The results of this study say that these effects of trauma appeared gradually in Ghassan's works, and the writer lived these fears rooted in fear of hunger to the daily face of death and became a victim of one of them. Culture trauma and the fear of losing national identity are the result of collective trauma. Therefore, the focus on Palestinian identity is a topic on which the literature of the Palestinian resistance, especially its fiction, focuses.

Key words: Palestinian fiction literature , Ghassan Kanafani , collective trauma , fear of homelessness and loss of homeland.

المقدمة:

تداخلت حياة غسان كنفاني؛ هذا الكاتب الشهيد الفلسطيني الشهير منذ البداية مع القضية الفلسطينية ومفاهيم مثل الاحتلال والتهجير والمعاناة. وشهد مع الشعب الفلسطيني مرارة الهزيمة وأصبح من روّاد ومنظري أدب المقاومة.

ولد غسان كنفاني في نيسان ١٩٣٦ في شمال شرق فلسطين؛ مدينة عكا. كان والده محاميا وكانت عائلته من الطبقة الثرية في المجتمع. غادرت العائلة مدينة عكا بعد مجيء إسرائيل عام ١٩٤٨ متشردين في جنوب لبنان ثم إلى الجبال المحيطة بدمشق وأصبح هذا المنفى المفاجئ والفقر المدقع رغم تصوراتهم، دائمًا. تابع تعليمه في مخيم النازحين الفلسطينيين وعندما كان مراهقًا يعمل مع شقيقه لإعالة أسرته. شكلت هذه التجارب المريرة نقطة تحول في حياته. التجارب التي أدت إلى تكوين هويته الثورية والتزامه تجاه الشعب الفلسطيني. (كنفاني، ٢٠١٢: ص ٤)

أثناء دراسته في جامعة دمشق في مجال الأدب العربي، كتب قصصًا قصيرة عن محنة المهاجرين الفلسطينيين. في هذا الوقت تم طرده من الكلية بسبب أنشطته السياسية ثم ذهب إلى الكويت وقد قام خلا السنوات الست فيها، بجزء من أنشطته الأدبية الرائعة. (كنفاني، ٢٠١٢: ص ٤) في عام ١٩٦٢، كتب روايته الأولى رجال في الشمس وقد عرف بهذه الرواية كرائد في مجال الحداثة في الرواية العربية" (القاسم، ١٩٧٨: ١١٤). وفي العام نفسه، حصل على الجائزة الأولى للقصة القصيرة من بين ٢٥٠ روائيًا عربيًا وفاز كنفاني بجائزة أفضل قصة طويلة نشرها في ذلك العام (ما تبقى لكم).

أصبحت الحياة في الأراضي المحتلة أكثر صعوبة أيضًا خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين وبعد الحرب العالمية الثانية، عندما اشتدت التوترات الإقليمية. في الوقت الذي عاش فيه الكاتب الشهير غسان كنفاني وشهد هذه المعاناة، وفي كل يوم كان يرى أو يسمع خبر وفاة أحد أفراد أسرته وقد ظلّ غسان يعاني من التوتر والخوف الناجم عن الموت. يلاحظ الباحث في روايات كنفاني شخصيات معظمهم من الأطفال والمراهقين، بما أن معظم كتاباته واقعية ويمكن رؤية آثار هذه المخاوف الناجمة من الحرب والاحتلال بوضوح في آثاره؛ مخاوف بدائية في بعض الأحيان مثل الخوف من الجوع، ومخاوف أكثر تعقيداً والتي

تشمل الغموض في المستقبل مثل الخوف من التشرد والنفي وحتى الموت.

حاولنا في هذا البحث اعتمادا على روايات المؤلف ومنها ثلاثيته الشهيرة "رجال في الشمس، عائد إلى حيفا وما تبقى لكم" وهي من أهم أعمال المؤلف وحتى أهم نماذج في روايات المقاومة الفلسطينية، ثمّ تصنيف هذه المخاوف، وتعداد أسبابها وعلاقاتها، وإظهار العلامات في أثناء الروايات.

خلفية البحث:

غسان كنفاني كاتب مشهور وغزير الإنتاج، تُرجمت معظم أعماله إلى معظم اللغات، وبالطبع تم إجراء الكثير من الأبحاث عليها. ولكن من منظور الصدمة Trauma، لم يتم إجراء أي بحث مستقل حول أعمال هذا المؤلف.

يتناول آزاد (٢٠١٤) في كتابه استقرار فلسطين من ١٩٦٧ إلى ١٩٨٧ مقدار تعامل الأدب العربي مع هذه القضية في خضم الصراع العربي مع إسرائيل وعندما كان هذا النظام يحتل فلسطين وإلى أي مدى كانت فلسطين مصدر قلق للكتاب العرب.

توصلت روشنفكر وآخرون (٢٠١٤) في مقال بعنوان "تمثيل الأفكار الخيالية في أدب المقاومة الفلسطينية (رواية الصبر نموذجا)" إلى أن الراوي قد أجاد في مواضيع مثل خلافات الناس حول كيفية التعامل مع الاحتلال - الدفاع المسلح أو المفاوضات السياسية - انتشار البطالة وحتمية الأشخاص العاملين في المصانع الإسرائيلية، تَعدّد أبعاد الاحتلال، والأمل في بناء مجتمع عادل مع المساواة في الحقوق بين العرب واليهود، إلخ.

أمّا بالنسبة إلى أسس النظرية للبحث (الصدمة) و دراستها في الأدب الفلسطيني، كتب وائل أبوالحسن (٢٠١٦) في مقالة عنوانها ((اضطراب ضغط ما بعد الصدمة وآثاره النفسية والاجتماعية على الطفل الفلسطينيّ)) و قد وصل إلى أن ((ان التوجه نحو الضغينة والكره والحقد قد احتل في نسبته).. ٨٨ ٪(؛ وذلك تبعا لمتغير مكان الاقامة؛ أي الترتيب الأول. وعليه فإن مظاهر الخوف والقلق والأرق والتبّول اللاإرادي، والتوجه العنفوي نحو التفكير بالقتل والانتقام والكره والحقد وإسقاط وإزاحة المشاعر السلبية المكبوتة من خلال اللعب بالعاب العنفوان هي من أهم الآثار النفسية والاجتماعية) Psychosocial (المترتبة على ما

حدث في منطقة جنين. وهذا في معناه ومدلوله انما يدل ويعني أن مثل هذه المظاهر والظواهر السلبية أضحت تطفو على سطح شخصية الطفل الفلسطيني البريء، وصارت وكأنها سلوكيات ملازمة له بفعل ما ارتبط بها وارتبطت به من أحداث صدمية مؤلمة.)).

ففي دراسة لسلمان البدور وآخرون(٢٠٠٧ (بين خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية فيمناطق السلطة الفلسطينية، بأن معدلات اضطرابات ضغط ما بعد الصدمة أعلى بكثير مما كانت عليه الأمور في مناطق أخرى قد تعرضت لفعل الاعمال الحربية، وذلك بسبب الاضطرابات السياسية المستمرة، ومخالفات الاحتلال ذات الطبيعة الصدمية. وهو ما تزامن الكشف عنه في دراسة أخرى قام بها عساف وأبو الحسن) ٥٥٧.(حول الصدمة النفسية وآثارها جراء الفعل الحربي الإسرائيلي المتكرر على بعض مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني، وعلى وجه الخصوص منطقة مخيم جنين.

أما الطويل وزملائه (٢٠٠٨) وفي دراسة لهم حول صدمات الحرب المزمنة فقد كشفوا عن انه من الصعوبة بمكان أن يعيش الفلسطيني طفولته في ظل الظروف الراهنة، وان مستقبل الرفاه النفسي في وسط الأطفال الفلسطينيين في خطر جراء الاحداث والخبرات الصدمية المستمرة.

تم كتابة مقال في مجلة كلية التمريض العسكرية، بعنوان اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD)، عن الاضطرابات النفسية للجنود الذين عادوا من الحرب والذين يشعرون بالقلق والاضطراب.

الأسس النظرية للبحث؛ الصدمة وأنواعها:

كلمة "Trauma" التي تعني "جرح" مشتقة من اللغة اليونانية القديمة (ليس، ١٣٩٢: ١). يستخدم مصطلح الصدمة لوصف الجرح الذي لا يصيبنا جسديًا ولكن عقليًا، وهو جرح ناتج عن صدمة عاطفية ويكون قويًا لدرجة أنه يعطل فهم المرء العقلي للذات والزمن والعالم وأخيرًا تظهر الصدمة نفسها في الأحلام والذكريات. وبهذا المعنى فإن الطبيعة المؤلمة الصادمة للحادث لا تكون قويةً دائما، بل لا يمكن تصوّرها. يقاوم هذا الحدثُ، الفهمَ ولا يمكن تحليله بسهولة ضمن الإطار الفكري الحالي (ميرزائي، ١٣٩٤: ٣٢ نقلت بواسطة أيرمن، ٢٠١٣: ٢)

في نظرية التحليل النفسي، تعتبر الصدمة حدثًا شديد الخطورة في حياة الشخص الذي لا يمكن للموضوع الاستجابة له وتأثيرات هذا الحدث تؤثر على نظامه العقلي لفترة طويلة. على الرغم من أن النظريات السابقة للصدمة كانت تميل إلى التركيز على عامل معرفي واحد (على سبيل المثال، الأسباب النفسية أو البيولوجية)، فقد أدركت العديد من النظريات الحديثة أهمية العوامل النفسية والاجتماعية والبيولوجية في استمرار الآثار الصادمة.

أحد العوامل الرئيسية التي تميز التوتر والأزمة عن الصدمة هو المستوى المرتفع من الخوف والعجز وانعدام السيطرة الموجودة في الصدمة (نديمي، ١٣٩٤: ١١٥ نقلا عن فارني و دانكيت، ١٩٩٥) قد تكون هذه العناصر موجودة أيضًا أثناء سائر الأزمات، لكن الآثار طويلة المدى للحدث تستمر في الضغط على الضحية حتى لو لم يكن هناك مزيد من التوتر. في المواقف التي لا يتحكم فيها الفرد، تعمل المحفزات الحالية على تعطيل استراتيجيات التكيف الناجحة للفرد (باترسون ونيوفيلد، ١٩٨٩).

"اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) هو اضطراب يحدث لدى بعض الأشخاص الذين مروا بحدث صادم أو مخيف أو خطير. من الطبيعي أن تشعر بالخوف أثناء وبعد موقف صادم. يخلق الخوف العديد من التغييرات اللحظية في الجسم للمساعدة في الدفاع ضد الخطر أو تجنبه. رد فعل "القتال أو الهروب" هو استجابة نموذجية مصممة لحماية الشخص من الأذى. قد يشعر الأشخاص المصابون باضطراب ما بعد الصدمة بالتوتر أو الخوف، حتى عندما لا يكونون في خطر." (اسكوبار، خافيير ١٩٨٣) اضطراب ما بعد الصدمة هو اضطراب ناتج عن تعرّض الشخص لحادثة مروّعة كادت أن تودي بحياته أو تسبب له جراح خطيرة، أو تعرّضه لعنف جنسي، أو مشاهدته لحادثة تعرض لها شخص آخر، أو شخص قريب أو صديق، أو سماعه لقصة مريض نفسي تأثر بها، الأمر الذي ينتج عنه حدوث أعراض اضطراب الضغط النفسي لديه. (أسيل الزغول، ٢٠٢١)

أ) الصدمة الفردية: في حالة الصدمة الشخصية، يتسبب الحدث الصادم في شعور الشخص بالخوف الشديد بحيث يواجه نظام دفاعه تجارب جديدة تمامًا، ونتيجة لذلك، ينسى الجسم وينكر من أجل الدفاع عن نفسه، لكن هذا الإخفاء مؤقت ولا يدوم إلى الأبد، بل تعود آثار الصدمة بشكل مفاجئ وغير متوقع إلى الضحية على شكل أحلام وكوابيس.

لذا فإن الصدمة لها القدرة على تعطيل الروتين الطبيعي لحياة الضحية.

ب) الصدمة الجماعية: الصدمة الجماعية هي صدمة مفاجئة ومرعبة تعمل على تغيير القيم والهويات الجماعية المؤكدة. يمكن للصدمات الجماعية - مثل الصدمة الفردية- أن تعطل شئونات الحياة اليومية وتتحدى أنماطها الراسخة، ويمكن أن تكون أيضًا بمثابة فرصة لخلق هويات جديدة أو تُظهرَ ما خفي منها. وتكشف عنها مرة أخرى. الصدمة هي عملية يمكنها إعادة تأكيد الجماعية وإعادة بنائها بطريقة جديدة، ولهذا يقول إريكسون: ويعيد آخر "(إيرمان، ٢٠١٣: ٤). القاسم المشترك بين الصدمات الفردية والجماعية هو أن كلاهما يشير إلى كارثة حقيقية ويعرف الصدمة فيما يتعلق بذلك الحدث وعواقبه. جروح الصدمة هي أيضًا جماعية لأنها فردية، والصدمات الجماعية والفردية متشابكة بطريقة تعزز بعضها البعض.

ج) الصدمة الثقافية: ناقش كلّ من الصدمات الجماعية والفردية الصدمة الحقيقية، ولكن تعود الصدمة الثقافية إلى الشكل المجرد والوسيط للهوية الجماعية، والتي تشمل الهويات القومية والدينية والعرقية. يقول نيل سميلسر: "الصدمة الثقافية تنشأ، وليست وليدة". يعرّف سميلسر الصدمة الثقافية بأنها معتد وحدث صادم يدوس على واحد أو أكثر من المكونات الأساسية للثقافة (إيرمان، ٢٠١٣: ٥). وفقًا لذلك، يمكن تجاهل أن الحادثة نفسها يمكن أن تكون مؤلمة، وأن المعتقدات الثقافية للمجتمع هي التي تحدد الطبيعة المؤلمة لحدث ما. للصدمة الثقافية بعدين: ١) بعد التجربة العاطفية ٢) رد الفعل التأويل. عندما تحدث كارثة مؤلمة وتتحول الحياة اليومية للمجتمع وتتشوش، يشعر المجتمع بهذه الصدمة القوية. هنا يأتي دور تعريف المجرم والضحية. تبدأ الصدمة الثقافية بفصل الأسس الراسخة للجماعة والتي يمكن أن تدمر الجماعة ككل (المرجع نفسه: ٦). ندرس في ما يلي علامات وأعراض فردية وجماعية وثقافية في شكل بعض المخاوف الشائعة بين الشخصيات في أعمال غسان كنفاني، مستشهدين بالأدلة.

الخوف من الجوع:

عند فحص الطبيعة التدريجية للمخاوف، فإن المرحلة الأولى من الخوف، والتي لها أصل متأصل وبيولوجي، هي الخوف من الجوع والفقر، والذي يأتي في المراحل الأولى من التوترات الإقليمية والحروب إلى الفرد والمجتمع، وعادة يوجد هذا الخوف بين المجتمعات في

حالة الطوارئ عندما يكون الأمل في المستقبل غامض. يؤكد غسان على الجوع والعجز والفقر بحيث لم ينجح أي منهم في العثور على عمل، والجوع كان من مشاكلهم اليومية بحيث يسمّي أيّام فقرهم بزمن المعركة لأنّهم قاتلوا من أجل الطعام. (امامي، القصص، ٢٥٨) انه وبسبب الإجراءات الإسرائيلية التعسفيّة والقمعيّة فقد تأثر كثيرا الوضع الاقتصادي للمواطن الفلسطيني؛ حيث ارتفع عدد الذين يعيشون تحت خط الفقر. (أبو الحسن، ٢٠١٦: ٨٧) والوصول إلى المال والثروة هو مفتاح التخلص من هذا الخوف وإن كان مؤقتًا ويظل ظل هذا الخوف دائمًا على الإنسان. (امامي، ٢٥٨).

وفي رواية "رجال في الشمس" هذا الخوف من العوز والفقر يدفع العديد من الناس إلى الفرار من حالة وفاة إلى أخرى من أجل تحقيق حياة أفضل في دولة الكويت المجاورة. من موت وخسارة تدريجي في أرض في ظل الحرب والاحتلال لعبور الحدود سراً وغير شرعي، إلى موت مفاجئ في صهريج المياه: ((يا رحمة الله عليك يا أستاذ سليم...ترى لو عشت، لو أغرقك الفقر كما غرقني...أكنت تفعل ما أفعل الآن؟ أكنت تقبل ان تحمل سنيك كلها على كتفيك و تهرب عبر الصحراء إلى الكويت كي تجد لقمه خبز؟)) (كنفاني، الآثار الكاملة، ص٤٣).

فانعدام الطعام و سائر مرافق العيش يؤدي ولا شك إلى العديد من الآثار – -النفسية والاجتماعيّة السلبيّة، وبالتالي عدم شعور الطفل الفلسطينيّ بالطمأنينة والاستقرار، وحرمانه من بهجة طفولته، مما قد يضطره للعمل والتعرض لمخاطر العمل ومجابهة أحداث جمة جسام، يكون في غالب الاحيان غير قادر على التعامل مع متطلباتها وتبعاتها(حمد، ٢٠٠٨، العيلة وحمد: ٢٠٠٩).

في القصة القصيرة "كعكة على الرصيف"، يمر الراوي في زقاق ذكرياته حيث كانت تخصه ومهنته قبل سنوات، كفتى فلسطيني نازح يشمع حذاء المارة و يتعيّن على الصبي، وهو طالب الراوي، أن يعمل لوقت متأخر، ويقوم بتلميع الأحذية، ويبيع الكعك أمام السينما في الليالي الباردة في الشارع لتغطية نفقاته. يجيب الصبي على المعلم: "لا، كنت أبيع الكعك. لكنني عدت إلى هذه الوظيفة من الأمس... كنت جائعا في نهاية الليل. بين الحين والآخر كنت آكل كعكاتين أو ثلاثة "(كنفاني، ١٣٦٩: ٥٥).

الخوف على الحياة وضرورة توفير السلاح:

تخيل أنّ الناس في مجتمع ريفي يرون موت أحبّائهم وأقربائهم بأعينهم كل يوم، وهذه الحرب والصراع مفروضان عليهم بشكل غير متساو؛ يواجه البعض الآخر تحديًا من خلال التعاليم السابقة لأسلافهم؛ التعلم الذي يقدّر الحق في الحياة من نفس النوع ويعتبر الحياة حقًا لكل إنسان، والثقافات الفرعية التي تعلم فيها البشر إلقاء القبض على الآخرين بدلاً من إلحاق الأذى بهم ومساعدتهم قدر استطاعتهم فجأة. يصبح إحساسًا غريبًا بـ "النضال من أجل البقاء". الفرضية بسيطة: "لا يمكنك فهم معنى كلمة مقاومة إلا إذا وضعت مسدسًا سليمًا على كتفك" (امامي، ٢٤٣)

تضع هذه الصدمة الثقافية، من خلال تغيير الأسس الفكرية والعاطفية للمجتمع، أسسَ الكراهية والعنف في المجتمع وتجعل شرط البقاء أساس القرارات الفردية والجماعية. في روايات كنفاني، يعطي وجود السلاح حضورا أكثر بروزا لجنود العدو (سواء بريطانيين أو إسرائيليين) ويضفي المؤلف مزيدا من القوة والعنف على الجنود من خلال وصف البنادق بأنها جديدة وقاتلة حتى يمكن وصف الجندي بنوع بندقيته.

في مثل هذا الوضع الرهيب، لا خيار أمام الناس سوى الحصول على الأسلحة؛ وفي قصة "رسالة من رام الله"، باع أبو عثمان في حرب فلسطين الأخيرة، كل ممتلكاته واشترى أسلحة ووزع السلاح على معارفه ليشاركوا هم أيضًا في الحرب". ووصف "شكيب" في قصة "جادين الجزامي" في نفس الكتاب بأنّه لقد كان يحب الأسلحة بجنون بحيث إذا شعر أن لديه فرصة بنسبة خمسين بالمائة للنصر، فسيكون على استعداد لخنق جندي إنجليزي صفر الكفّ ليسلب سلاحه. (رسالة من رام الله ص ٧١)

غسان كنفاني، من خلال تقديم الشخصية الأنثوية لأم سعد، يجعل دور المرأة في المقاومة الفلسطينية مهمًا وحاسمًا. النساء، بصفتهن ممثلات عن فلسطين، يتحملن مصاعب الحياة ومن خلال تربية الأطفال الثوريين، فإنهم يقدمون خدمة جليلة للقضية الفلسطينية. تمثل أم سعد الطبقات المعذبة في فلسطين الذين دفعوا ثمناً باهظاً لهزيمتهم، ومع ذلك يقفون ويضحون في الرغبة في حمل السلاح ومحاربة العدو. يمكن اختبار شخصية أم سعد في هذه الرواية في بعدين حقيقيين ورمزيين (حمود، ٢٠٠٥: ١٨٤)

كراهية وخوف من المساومة مع العدو:

فالشعب الفلسطيني يخشى يومًا ما أن يتصالح مع قتله ويتعايش مع من اغتصب أرضه. "طوال حياتي أردت أن أصفع جنديًا بريطانيًا، لكنني نسيت الآن" (رسالة من رام الله، ص ٦٢) الجغرافيا المشتركة والأراضي المجاورة تجعل المواجهة أكثر من أي وقت مضى، والتفاعل أمر لا مفر منه، حتى في شكل الصراع والمواجهة اليومية. في قصة "دكتور قاسم"، عندما يدرك الأب أن ابنه قاسم الذي أصبح الآن طبيبًا وسيفتتح مكتبًا طبيًا في حيفا، يذهب لاستقباله ببرود ولا يحسبه كطفله ويقول: "ما زال عندي طفل آخر" (رسالة من رام الله ١٣٩٣) "أخوك في حيفا ويستمتع بنساء يهوديات. لقد أخرجته للتو من هناك. أهتي أكثر أنانية منك، والآن أنت... "(نفس المرجع، ص ٥٥).

من وجهة نظر كنفاني، لم يتبق أمام الأمة الفلسطينية سوى طريقتين، ليس لها طريق ثالث: استمرار الثورة حتى الفتح والنصر أو زوال العدو وانهياره "(محمد عطية، ١٩٦٩: ٨٢.) هذا الرأي يرى النضال على أنه الحل الوحيد للقضية الفلسطينية الذي سيستمر حتى القضاء التام على العدو وهزيمته.

الخوف من النزوح ومغادرة الوطن:

اضطراب ما بعد الصدمة PTSD له تأثير سلبي على الفرد والأسرة والمجتمع بسبب الاضطرابات في الأداء الاجتماعي وزيادة التوتر وتهديدات الحالة الصحية. يتذكر معظم الناس (٥٠ إلى ٩٠٪) حدثًا مرهقًا لبقية حياتهم، لكن ٨٪ منهم فقط يصابون بهذا الاضطراب. كان هذا المرض شائعًا جدًا خلال الحرب. تقلل الدراسات التي أجريت على السكان المعرضين للخطر من معدل الانتشار إلى النصف أو الثلث، بحيث وصل معدل انتشار الناجين من الحرب والمغتصبين إلى ٣٠ في المائة (سوزان شفيقي، سمية الأزرمي منيرة عبادي ٢٠١٢).

بعد الاحتلال التدريجي وتحمل مشاهد القتل في كلا المجموعتين، كان الخوف الدائم من فقدان الوطن دائمًا مع الفلسطينيين. ليس علينا بالضرورة أن ننسب هذا الخوف إلى نوع من القومية نتاج بناء مدارس القرن العشرين لأنّ الإنسان يحتاج بطبيعته إلى مأوى وفقدانه يؤدي إلى الحرمان، وهذا الحرمان والحزن الناتج عنه يسببان التوتر والقلق لأنه من المؤلم التفكير في أنه يريد العيش في المخيمات المصنوعة من الخيام والحمأة وعلب الصفيح

والبحيرات الموحلة التي تكون وصمة عار على جبين الغاصبين. (إمامي ص ٢٧٠)

علامة أخرى على الصدمة الجماعية لاحتلال الأرض هي الخوف من التهجير الذي يدركه النازحون الفلسطينيون بصعوبة العيش في المخيمات ولا يعتبرون بقائهم فيها إنسانيًا. يظهر هذا المشهد من كتاب "صباح فلسطين" لسوزان أبو الهوى أحد المشاهد اليومية في المخيمات:

"في ١٦ أيلول / سبتمبر، قام أرييل شارون، في انتهاك لاتفاق وقف إطلاق النار، بمحاصرة مخيمي صبرا وشاتيلا ووضع حواجز على طول الطريق لمنع أي نازحين من مغادرة المخيم، وفي الأيام التالية نقل جميع النازحين إلى مخيم شاتيلا وسمح لكتائب الجيش اللبناني بدخول المخيم. سمح الإسرائيليون للكتائب بدخول المعسكرات ليلاً للتغطية على أفعالهم وأطلقوا الأضواء لإرشادهم. بعد يومين، وصل صحفيون غربيون إلى المخيم لمعرفة ما حدث. كتب روبرت فيسك في كتابه The Nation's Pain: "كانوا في كل مكان على الطرقات والأزقة والحدائق الخلفية وتحت الجدران المنهارة وعلى القمامة". وتناثرت مئات الجثث في كل مكان بحيث كان من المستحيل عدها. وفي العديد من أروقة المنازل سقطت الجثث للشبان والاطفال والعجائز والشيوخ على الأرض، وفي المستشفيات الفلسطينية لقي العديد من المرضى مصرعهم بعد أن اختطف مسلحون مجهولون أطباء من المستشفى. في كل مكان تم حفر قبور على عجل وتم تغطيتها بنفس السرعة. "الآن كنا هناك ورأينا الجنود الذين خلقوا مثل هذا الجو الرهيب" (سوزان أبو الهوى، ص ٢٢٣).

في قصة "قضبان حديدية" يعرض المؤلف للجمهور بطريقة مختصرة ومفيدة وإبداعية ألم ومعاناة طائر في قفص؛ صدمة مزعجة وصادمة لحسان الذي يعاني هو نفسه أمام طائره. ينير نص القصة مهمة حسان في التعاطف مع طائره وهذا الطائر هو رمز فلسطين وشعبها الذين لن تتركهم أزمة الحرب المريرة والاغتصاب. بالنسبة للطائر أو بالأحرى للفلسطينيين، لا يهم حجم القفص أو الأرض؛ بل ما يهمهم هو الحرية. بينما داس العدو على عنق الفلسطينين وسد طريقة تنفسهم، لم يعد يهم ما إذا كان يفعل ذلك في المنزل أو في أرض كبيرة أو صغيرة مثل طائر حسان الذي يكون التأثير الوحيد لنموّه في القفص الضيق هو الموت: "هز أخي الأكبر رأسه ببطء ونظر إلى الطائر الصغير وربط عقدة في حاجبيه وفتح فمه بجملة

واحدة: إنه يحتضر ". (إمامي ص ١٥٧)

تخيل الموت ومواجهة يومية معه:

((وأنت نفسك علّقت هذا النعش أمامي ليدق هذه الحقيقه الفاجعه على سمعي ليل و نهار. (الاثار الكامله لغسان كنفاني. ص١٩٥) خلال الصراعات العديدة التي خاضها الشعب الفلسطيني مع بريطانيا أثناء استعمار البلاد ثم أثناء الاحتلال الإسرائيلي، ربما فقد العديد من الرجال والنساء والأطفال حياتهم، وهذه المواجهة مع الموت، كتجربة حقيقية ومرتبطة بمعظم المجتمع، لم تحدث على الفور وكان لها العديد من الآثار المدمرة. عندما يفقد الفلسطيني أحباءه ومعارفه كل يوم لعقود من الزمن دون سبب منطقي، ولا يكون لديه أمل في البقاء على قيد الحياة حتى لبضع لحظات سنراه يستيقظ كل يوم بفكر الموت ويقضي حياته في انتظار المعاناة.

هذا الجرح النفسي أو الصدمة هو في البداية شأن فردي يشمل المشاعر والعواطف فيصبح الشخص منعزلاً وينخرط مع نفسه ومعتقداته وإذا لم يستطع قبولها، فيصاب بالاكتئاب والأرق واضطراب في تكرار الأفعال والعادات والكلمات. في المرحلة الثانية يدخل الإنسان في المجتمع ويشارك الآخرين في حزنهم فيصبح حزنه حزنَ الناس كلهم، كأن حزن الناس هو تجربته الشخصية. في مثل هذا المجتمع، تدخل الصدمة في تفاصيل الحياة وتلقي بظلالها على كل شيء بما في ذلك الأدب والثقافة وما إلى ذلك. وكما يرى ديوباو وآخرون) Dubow et al., 2012،)النزاعات المسلحة في زمن الحرب تلحق الصدمة النفسية بمن يشهدونها، بل تلحق أثاراً وتبعات نفسية واجتماعية لها الأثر الاكبر والأعمق على الانسان الذي يشهدها، أكثر مما قد تكون عليه الآثار المادية أو حتى تلك المتعلقة بعدد القتلى في تلك النزاعات.

تصبح الصدمة الجماعية تدريجياً ثقافة فرعية ثم مرجعاً للتفاعلات والعلاقات بين الناس. وهكذا فإن ذكرى الموت كشبح يحيط بالجميع في أثناء كتابات كنفاني وغيره من الكتاب الفلسطينيين في هذه الفترة التاريخية حتى يصبح موت الناس، حتى الأحباء أمراً طبيعيًا وسهلًا:

((وأخذ يعض شفته و هو ينظر اليه، ثم نهض و دخل إلى المطبخ، و من هناك أبلغني

((لقد قتل سالماً اليوم وغداً أن يجيء دور اي منا)). والتحقتُ به و رأيته يملأ إبريق الماء. كان لا يشرب إلا من الابريق. ولاحظت اصفرار وجهه. و بعد ان شرب التفت إلى:((قد يكون دوري انا غداً)) فخرجت من المطبخ)). (الآثار الكاملة ص٢٠١)

نواجه في آثار غسان كنفاني، حتى آثاره للأطفال والمراهقين، أن مشاهد الحرب والجرح والقتل توصف عارية عنيفة وقد يكون السبب في ذلك أولاً أن هناك حقائق يشهدها الأطفال والمراهقون الفلسطينيون كل يوم وثانياً الثقافة الشعبية، نتيجة اصطدام هذه المصائب، لديها القبول والقدرة على تحمل هذا العنف والعري في وجه الموت: ((لقد رأيته ينزف حياته بعيني، كانوا يحملونه ملفوفاً بمعطفين ملوثين فوق الدرج، وأخذت ذراعُه المتدلية بين الرجال عارية صفراء تهتز جيئة وذهاباً كأنها تدعوني إلى اللحاق به.)) (اثار الكاملة ص١٩٩).

تظهر القصة القصيرة "كان طفلا في ذلك اليوم" قتل المدنيين العزل حيث يصف الكاتب حافلة الركاب مع المسافرين الذين يبلغ عددهم خمسة عشر راكبا مستقلين من حيفا الى قرى الخليج ويعلن شاب مأساة مأساوية بغناء قصبته الحزينة. الدورية الصهيونية توقف الحافلة وتطلق الرصاص على ركابها أمام أعين طفل بريء. في نهاية القصة تختلط نبضات قلب الطفل وتنفسه المتعب مع تدفق الدم في الخور خلف الركاب، ورسالة العدوان يتردد صداها في آذان التاريخ. (كنفاني، ١٣٦٩: ٣١).

خاتمة البحث:

هناك علامات وأعراض لكل أنواع الصدمات في أعمال الكنفاني الروائية، ولكن بما أن قضية فلسطين قضية إقليمية ودولية، فإن الألم والمخاوف والتوترات ترتبط بالمجتمع أكثر من كونها فردية وعائلية. وتتجلى الصدمات الجماعية والثقافية في صورة الخوف الشديد من الفقر والخوف من النزوح والعيش في المخيمات والخوف من مغادرة الوطن وأخيراً الخوف من الموت. القلق والتوتر الناجمين عن الغزو العسكري والاحتلال النهائي للأرض على شكل مخاوف مؤسسية لدى الناس، وخاصة شخصيات هذه الروايات، الذين هم غالبًا أطفال ومراهقون، نشأت من المخاوف الأولية الكامنة في البشر تستمر المخاوف الأكثر تقدمًا، مثل الخوف المستمر من موت الذات والأحباء.

الصراع المستمر مع الموت يؤدي إلى التوتر بين أفراد الأسرة ويتجلى في أشكال مثل: الاغتراب، والالتزام بامتلاك وامتلاك سلاح، والهروب من الوطن. طغت هذه المخاوف على حياة الشخصيات وعلاقاتها وأفكارها لدرجة أن وظائفهم العقلية والحركية تتعطل وتتأثر بحيث يمكن أن يكون سلوك بعض الشخصيات على شكل (اضطراب ما بعد الصدمة) أو اضطراب الحادث.

قائمة المصادر والمراجع

- أسيل الزغول، عن الحروب واضطراب ما بعد الصدمة عند الأطفال في العالم العربي، ٢٦ كانون الثاني ٢٠٢١ https://www.7iber.com/society
- حمد، جهاد (٢٠٠٨) القدس وخطة الفصل الأحادي وسياسة الحصار وتداعياتهما على المجتمع الفلسطيني)دراسة محكمة) الأعمال الكاملة للمؤتمر الدولي الثاني لنصرة القدس. غزة: فلسطين
- حمود، ماجده. (٢٠٠٥)، جماليات الشخصية الفلسطينيه لدي غسّان كنفاني، دمشق: دارالنمير.
- العيلة رياض، وحمد، جهاد (٢٠٠٩) تأثير الحصار الإسرائيلي على الواقع الاجتماعي والاقتصادي والنفسي للفلسطينيّين في قطاع غزة. مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية. انظر: http://www.bahethcenter.net/essaydetails.php?eid=1272&cid=24
- القاسم، افنان. (١٩٧٨)، البنية الروائية لمسار الشعب الفلسطيني، ط١، بيروت: المؤسسة العربية.
- كنفاني، غسان (١٣٩٣) قصص. ترجمة: غلام رضا إمامي. طهران: دار روزبهان للنشر
- --------- (٢٠١٤) رسالة من رام الله. ترجمة: مرزية خسروي. طهران: دار روزغار للنشر
- -------- (١٣٩٣). أطفال فلسطين. ترجمه: فاطمة بغستاني. طهران: رواية فتح
- -------- (١٩٧٢) الآثار الكاملة، بيروت: دار الطليقة للطباعة والنشر.
- --------- (١٣٩٣). رجال في الشمس. ترجمة: عدنان الغريفي طهران: افراز للنشر
- --------- (١٣٩٤) ما بقي لك (نحن مختلفون). ترجمة: رضا العامري. طهران افراز للنشر
- ليز، تايسون (٢٠١٣). نظريات النقد الأدبي المعاصر، ترجمة حسين بايندە، طهران: نجا امروز للنشر.
- محمد عطيه، احمد. (١٩٦٢)، ((في الثورة الفلسطينيه و ادب غسّان كنفاني))، مجلة آلاداب، بيروت: ش٣، صص: ٨٢-٨٥.
- ميرزاي قشلاق، منوشهر (٢٠١٥). فعالية المعالجة المعرفية في تحسين الإدراك ما بعد الصدمة والتنظيم المعرفي لمدمني الصدمات، رسالة ماجستير، علم النفس، جامعة موهاغي أردابيلي.